كتاب الإيمان

«٣»

(٦) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .

الوظيفة الإعلامية

لهذا الحديث وظيفة أساسية هى وظيفة الإخبار أو التبليغ بغرض توضيح حقيقة الإسلام وبيان أسسه أو المبادئ التى يرتكن عليها .

جمهور الحديث

والجمهور المقصود بالحديث هنا الجمهور العام - أى عموم البشرية بكل فئاتها فى كل عصر ومكان . فالحديث إجابة عن تساؤل يتطرق إلى ذهن كل من يسمع بالإسلام : ما الإسلام ؟ ... وكذلك للذى سمع ويريد الدخول فيه .

الأساليب الإعلامية للحديث

يتضح من التحليل الإعلامى للحديث اشتماله على الجوانب الآتية :

١- التبسيط الشديد للفكر

فقد استطاع الحديث من خلال أسلوب التقرير تقديم الحقائق الكلية للإسلام فى عشرين كلمة لا أكثر .. مراعيًا فى ذلك مايلى :

- طبيعة النسيان لدى الجمهور ، إذ يساعد هذا الأسلوب الجمهور على حفظ الحقائق التى تضمنها الحديث وعلى تذكرها والتأمل فيها .

- مراعاة الاختلاف فى القدرات العقلية للجمهور .. فهذا التبسيط يوفر الفرصة لأصحاب القدرات العقلية الأقل للإدراك والتفكير .. مثلهم مثل ذوى القدرات العقلية العالية .

- إظهار العلاقة الارتباطية بين المقومات أو العناصر التى تضمنها الحديث وأهميتها ككل وأهمية كل عنصر منها لبناء الإسلام . وذلك من خلال تشبيه الإسلام بالبيت من الشعر : يحمل على خمسة أعمدة ، أحدها أوسط والبقية أركان ، فإذا سقط الأوسط سقط مسمى البيت . وإذا استمر قائمًا استمر مسمى البيت قائمًا مهما سقط من الأركان .. فالبيت بالنظر إلى مجموعه شئ واحد وبالنظر إلى أفراده أشياء وهذه الصورة رغم أهميتها للإدراك إلا أنها من البساطة بحيث يدركها جميع الناس دون استثناء . نظرًا لأنها مستوحاة من الواقع الذى يعيشه الناس ومن نموذج قائم أمام أعينهم دائمًا وهو البيوت التى يعيشون فيها .. فهذه البيوت سواء أكانت من الشعر أم من غيره تقوم على أعمدة بعضها أساسى إذا سقط تهدم البيت وبعضها تبع وتكملة .

٢- التركيز والوضوح

ويتضح بصورة جلية فى هذا الحديث سواء بالنسبة لاختيار الألفاظ ودلالتها أم بالنسبة للمعانى للدرجة التى لاتجعل هناك أى صعوبة فى الفهم أو الاستنتاج بالنسبة للجمهور .. وكذلك انعكس الوضوح على درجة الفهم ونوعيته بحيث لانجد أى اختلاف بين الجمهور فى إدراك الحقائق أو الأركان الأساسية للإسلام .

٣- تجسيم المعانى فى صورة حسية

ويتضح ذلك من خلال تشبيه الإسلام بالبيت كما أشرنا سابقًا - وذلك لمساعدة المستقبل على تصور الأركان الأساسية للإسلام ، لامن حيث دلالاتها ومعانيها فقط ولكن أيضًا من حيث الشكل العام فتتضح من ثم مهمة هذه الأركان وقيمتها الحقيقية .

٤- أسلوب الحصر

يتضح من سياق الحديث « بُنِيَ الإسلام على خمس » فقد حصر هذا الحديث كل أنواع العبادات .. العبادة القولية : وهى الشهادة ، والعبادة غير القولية ، وهى إما تركى كالصوم أو فعلى وتشمل العبادات البدنية كالصلاة والمالية كالزكاة والمركبة منها كالحج .. ولهذا الحصر فى مجال الإقناع ميزة مهمة إذ أنه يساعد على سرعة الاستيعاب والاقتناع .

«٤»

(٧) عن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولايفقه مايقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال هل على غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان ، قال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة ، قال : هل على غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق .

الوظيفة الإعلامية

فى إطار نموذج الاتصال التفاعلى الذى يمثله هذا الحديث تتضح لنا وظيفته الأساسية فى التعليم .. فالمستقبل للرسالة الإعلامية هنا هو ضمام بن ثعلبة وافد بنى سعد بن بكر .. أوفده قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلم منه شرائع الإسلام ليعلمها إياهم عند عودته .. ويلاحظ أنه لم يأت خالى الذهن وإنما كانت لديه كثير من الحقائق عن الإسلام .. ولهذا فلم يذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم الشهادة لأنه علم أنه يعلمها وأنه إنما يسأل عن حقيقة الإسلام أو الشرائع الفعلية .

وتتحق الوظيفة التعلمية فى إطار هذا الحديث من خلال ما يأتى :

- تفهم القائم بالاتصال وهو هنا الرسول صلى الله عليه وسلم لاحتياجات المستقبل الفعلية .. ولذلك نجد المطابقة بين السؤال والجواب - يسأل ثعلبة : ماذا فرض الله على من الصلاة ؟ كما فى رواية إسماعيل بن جعفر - فيجيب صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فيقول : هل على من غيرها - فيجيب صلى الله عليه وسلم إلا أن تشرع فى التطوع فيلزمك إتمامه - مع الخلاف بين العلماء فى ذلك - وتساعد

المطابقة على ضمان درجة عالية من الوضوح والفهم للرسالة الإعلامية من ناحية وعلى تلبية حاجة المستقبل لتعلم مايريد تعلمه فعلاً وهو ما يعكسه تعليق ثعلبة على هذا الدرس (لا أزيد على هذا ولا أنقص) أى لا أزيد أسئلة أخرى ولا أنقص فى التبليغ لقومى مما تعلمته شيئًا .

جمهور الحديث

يتحدد جمهور هذا الحديث وفقًا لنظامى الاتصال الذى يعكسه .. وهما الاتصال الشخصى والجمعى .. فالشخصى هنا بين ثعلبة وبين الرسول صلى الله عليه وسلم والجمعى بين ثعلبة وقومه .. ثم نموذج الاتصال الجمعى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وجمهور الحاضرين للمجلس فى هذه اللحظة من الصحابة وكل من علم بهذا الحديث من المسلمين والذين أصبح كل منهم بدوره ثعلبة فى قومه أو دائرته ينقل إليهم هذا الدرس . وتصبح بذلك العملية الاتصالية الواحدة إطارًا لعلميات أخرى تتم الواحدة منها إثر سابقتها فى حركة مستمرة غير منتهية .

ولضمان أن تكون الاستجابات والتأثيرات الناتجة فى الاتجاه المرغوب نلاحظ وجود قاعدتين أساسيتين للتعامل مع الجمهور حال رغبتنا فى تعليمه وهى :

- مراعاة الاحتياجات الفعلية للجمهور .. فلاتثقل عليه بأكثر مما يتطلبه الاحتياج الفعلى ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدخل السائل فى قضايا فرعية عن أسماء الصلوات وكيفيتها .. والمفروضات والمندوبات ، ولا عن بيان أنصبة الزكاة .. لأن قصد السائل كان معرفة حكم من يقتصر على الفرائض فقط أو لأن هذه الأمور الأخرى كانت معروفة ومشهورة ولذلك طابق الجواب السؤال .

- مراعاة واقع الجمهور وقدرته الاستيعابية : فثعلبة كما ذكر راوى الحديث وافد قومه من أهل نجد .. وصفتهم لاتختلف كثيرًا عن صفته .. صوته مرتفع متكرر لايكاد يفهم .. وكان لابد لضمان استيعابه وتعلمه أن يتسم الدرس بالوضوح والدقة والاختصار والتبسيط الشديد ليتحقق الغرض التعليمى الذى جاء من أجله وهو التعلم وتعليم قومه .. وهو ما يتضح لنا جليًا من الحديث الشريف .

أما بالنسبة للجمهور فهناك عنصر الاستعداد والرغبة والتهيؤ النفسى للتعلم وأيضًا الإيجابية والاستعداد لطلب العلم والارتحال لطلبه .

الأساليب الإعلامية

يستنتج من هذا الحديث الأسلوبين الإعلاميين الآتيين وهما :

أسلوب التساؤل

ففى إطار سياسة فتح باب الحوار كان الرسول صلى الله عليه وسلم تتوارد عليه الأسئلة فيجيب عليها .. ويتحدد الغرض من الأسئلة وفقًا لنوع الجمهور .. وهى فى هذا الحديث لغرض التعليم ومعرفة شرائع الإسلام للعمل بمقتضاها .. لأن الجمهور هنا كان مسلمًا .. وكان يسأل ليتعلم . ومن خلال الحوار القائم على الأسئلة والجواب يقنع السائل بالجواب .

أسلوب الربط بين الجزاء والعمل

ويتضح من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق . وعند مسلم فى رواية إسماعيل بن جعفر - أفلح وأبيه إن صدق ، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق .

(٨) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هاجر مانهى الله عنه » .

(٩) عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قالوا : يارسول الله ، أى الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

(١٠) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

(١١) عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .

(١٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن » ، قيل أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيراً فقط ؟ » .

(١٣) عن واصل الأحدب عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إنى سابببت رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولاتكلفوهم مايغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

(١٤) عن الأحنف بن قيس قال : ذهبت لأنصر هذا الرجل ، فلقيني أبو بكرة فقال : أين تريد ؟ قلت أنصر هذا الرجل ، قال : ارجع ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » ، فقلت يارسول الله : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

(١٥) عن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » .

(١٦) عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « إني خرجت لأخبركم بليلة القدر ، وإنه تلاح[١] فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، التمسوها في السبع والتسع والخمس » .

(١٧) عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يُكَفِّرُ الله عنه كل سيئة كان زلف[٢] وكان بعد ذلك القصاص : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها ، إلا أن يتجاوز الله عنها » .

(١٨) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها » .

(١٩) عن جرير بن عبدالله قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » .

---

(١) تلاحى : تنازع .

(٢) زلفها : أسلفها وقدمها أي ارتكبها من قبل .

الوظيفة الإعلامية

تتحد الوظيفة الأساسية للأحاديث السابقة فى وظيفة التوجيه وفى إطار هذا التوجيه تتحدد ملامح التربية الإسلامية للفرد المسلم .. وملامح العلاقة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية . ففى الوقت الذى يعد الإسلام فيه أمراً ذاتيًا متعلقًا بالفرد ويحاسب على عدم الدخول فيه إلا أنه من ناحية أخرى زمر ذو طبيعة اجتماعية .. تجعل الفرد المسلم يحمل فى قلبه فى كل لحظات حياته مشاعر تربطه بالآخرين .. هذه المشاعر لابد وأن تترجم ترجمة عملية وتتحول إلى سلوكيات وتصرفات تحكم علاقة المسلم بغيره .. وهذا ما أبرزته هذه الأحاديث عندما حددت مفهوم الإسلام .. ونلاحظ أنه بينما تعرف هذه الأحاديث الإسلام من خلال المظاهر السلوكية نجد أن الإيمان يرتبط بالمشاعر والأحاسيس القلبية .

وفى إطار الوظيفة التربوية للتوجيه الإعلامى عرفت هذه الأحاديث المسلم بأنه الشخص الذى تحكم تصرفاته وسلوكياته العقيدة الإسلامية وذلك فى شكل أنماط سلوكية محددة تنحصر فيما يلى :

١- هجرة مانهى الله عنه

فالمسلم هو من هاجر ما نهى الله عنه أى توافر لديه الاستعداد للتخلى عما ألفه من سلوكيات منافية لتعاليم الإسلام والأخذ بالسلوكيات الإسلامية أى الاستعداد لمجاهدة النفس والصبر على هذه المجاهدة . ويتضح بالتالى مفهوم الهجرة .. فالهجرة ليست هجرة الديار ولكنها فى حقيقتها هجرة السيئات . ويقول صلى الله عليه وسلم : « المهاجر من هجر السيئات »[1] أى المهاجر على الحقيقة . وذلك لتوجيه المهاجرين حتى لايتكلوا على الهجرة من ناحية . وأيضًا لفتح باب الأمل أمام الذين حزنوا لانقطاع الهجرة وفضلها ممن لم يدركها فأعلمهم النبى صلى الله عليه وسلم بحقيقة الهجرة فى مفهومها العام .

---

(١) العسقلانى : مرجع سابق جـ ١ ص ٥٤ .

٢- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

فالإسلام ليس أداء حقوق الله وحسب ولكنه أداء حقوق المسلمين .. لأن المسلم إذا أحسن معاملة إخوانه وكف أذاه عنهم فأولى به أن يحسن معاملة ربه.

وخص اللسان لأنه المعبر عما فى النفس ولاتساع مداه إذ يشمل بالقول الماضين والحاضرين والحادثين بعد . بخلاف اليد وإن كان يمكنها أن تشارك اللسان بالكتابة .. واقتصر الحديث فى التعبير عن اللسان دون القول ليشمل حتى مجرد إخراج اللسان على سبيل الاستهزاء .

٣- المسلم إنسان إيجابى

لايكتفى فقط بكف أذاه عن الآخرين .. وإنما لابد له من التحرك للنفع العام .. فهو يطعم الطعام .. إذ يستضيف إخوانه على الطعام لتأليف قلوبهم .. ويفشى السلام مراعاة لحق الأخوة الإسلامية على من يعرف ومن لايعرف .. أى أنه إنسان خير نافع للآخرين .

وأحيانًا تكون الإيجابية بكف اليد واللسان عن المشاركة فى أى نشاط وخاصة أوقات الفتن (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) . وكذلك أيضًا بعدم المشاركة فى قتال المسلمين . فقتال المسلم كفر .. ولم يرد الحديث حقيقة الكفر التى هى الخروج عن الملة .. وإنما أطلق عليه الكفر مبالغة فى التحذير .

كما تتحقق الإيجابية أيضًا بالكف عن سب الآخرين أى أن يقول مافيهم وما ليس فيهم .. وذلك لعظم حق المسلم على أخيه ومحافظة على العلاقات الاجتماعية الحسنة . فإذا سبه بغير حق كان فاسقًا .. والفسوق لغة الخروج وشرعًا الخروج عن طاعة الله ورسوله .

٤- المسلم لايتخاصم مع أخيه

والمقصود بالتخاصم الاختلاف وإدعاء كل منهما أنه على الحق .. فى رواية أبى سعيد فى هذه القصة كما رواها مسلم (فجاء رجلان يحتقان) بتشديد القاف يدعى كل منهما أنه المحق .. فهذه المخاصمة مذمومة كما يقول القاضى عياض .. وكانت سببًا فى العقوبة المعنوية أى الحرمان من معرفة ليلة القدر .. حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج ليخبر بها فرفعت وذلك بسبب هذه المخاصمة .. وقيل لأن المخاصمة كانت فى المسجد .. وفى الوقت المخصوص للذكر والعبادة وهو شهر رمضان .

٥- المسلم يحفظ الجميل للآخرين

ويقدر صنيعهم ولاينكره .. ولهذا كان أكثر أهل النار من النساء لأنهن يكفرن العشير ويكفرن الإحسان .. وبهذا التوجيه الشريف لقطاع مهم فى المجتمع وهو المرأة .. يوجه الحديث الشريف أنظارهن خاصة إلى الاعتراف بجميل صنع أزواجهن ضمانًا لاستقامة العلاقات الاجتماعية الأسرية . وفرق بين حق الزوج على زوجته وحق الله .. فالتى تكفر حق زوجها تتهاون فى حق الله وتوعدها النار لأنه من الكبائر .

٦- المسلم هو من يكف أذاه عن خادمه وعبده

ويحسن معاملته .. يطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولايكلفه ما لايطيق .. فإن كلفه فليعنه كما يقول الحديث الشريف . أى أنه إنسان متواضع لايتعالى على من هم دونه .

٧- المسلم أيضًا هو من يحرص على نصيحة أخيه المسلم

فى إطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فالدين النصيحة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله عز وجل » رواه

مسلم . ومادامت النصيحة لله فلابد وأن تتسم بالإخلاص .. وإلا لاتصبح من الدين .. فكل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين .

وبهذا الهدى النبوى الشريف تتحقق الوظيفة التربوية للتوجيه الإعلامى فى هذه الأحاديث ويتعلم المسلمون من خلال التربية العملية المعنى الحقيقى للعقيدة الإسلامية مرتبطًا بالجوانب التطبيقية فى بُعدها الاجتماعى الواقعى وهو ما عبر عنه الحديث الشريف (الدين المعاملة) .

الجمهور

بتحليل الجمهور فى هذه الأحاديث وفقًا لطبيعة الخطاب يلاحظ تنوع الجمهور وفقًا للآتى :

١- أحاديث الخطاب العام وتتوجه بصفة عامة إلى الجمهور ككل وهم هنا المسلمون جميعًا .. ويهدف الخطاب هنا إلى تحديد أحكام سلوكية عامة لتوضيح حقيقة الإسلام .. ويأخذ الخطاب الشكل التقريرى باعتبار أن هذه الحقائق أموراً نهائية غير قابلة للجدل أو النقاش .. ويتحدد بالتالى معيار التفاضل أو التمايز للمسلمين فى مدى الأخذ بها .. وهو المعيار الذى يمكن تصنيف الجمهور فى إطاره .

٢- خطاب عام نوعى : يتوجه إلى فئة من الجمهور تصنف وفقًا للجنس وهو قطاع المرأة .. ونظراً لطبيعتها الخاصة فإن الخطاب غير مباشر .. ويتسم بالاستثارة العاطفية للتحذير الشديد من سلوك شائع فيهن وهو كفران العشير وكفران الإحسان من قِبَل الزوج أى جحود فضله وللمبالغة فى التحذير لضمان التأثير فى هذ القطاع العريض من الجمهور تناول الحديث التحذير من خلال مشهد تصويرى للنار وقد شغلت المرأة قطاعًا عريضًا فيها . (أُوريتُ النار .. فإذا أكثر أهلها النساء) والسبب فى ذلك أنهم (يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت : مارأيت خيراً منك قط ؟) .

٣- خطاب خاص : لأفراد من الجمهور بغرض التوجيه من خلال النقد والتوبيخ لسلوك يتنافى مع الإسلام كما حدث مع أبى ذر حين عير رجلاً بأمه - يقال إنه بلال - فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ؟ ثم يوجهه إلى حسن التعامل مع قطاع كبير من المجتمع كان موجوداً لفترة طويلة وهم العبيد ويشاكلهم حالياً الخدم .. إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس . ولاتكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » ورغم خصوصية هذا التوجيه إلا أنه يتعلق بقاعدة سلوكية عامة ملزمة لجميع المسلمين باعتبارهم مكلفين بنفس هذا الأمر .

الأساليب الإعلامية

بتحليل هذه الأحاديث إعلامياً نلاحظ أنها تشتمل على الأساليب الإعلامية الآتية :

١- أسلوب الإخبار الغيبى

وقد أخذ هذا الخبر المستقبلى نسق الخبر الحاضر كما فى الحديث الثانى عشر الخاص بالمرأة . وفى الحديث الرابع عشر الخاص باقتتال المسلمين .. وأنهما (فى النار) والإخبار عما سيكون من فتن فى آخر الزمان كما فى الحديث الحادى عشر وحدد للمسلمين أسلوب التعامل معها باعتزالها وذلك لمن ليست لديه قدرة على السعى فى إزالتها .

٢- أسلوب الترهيب

ببيان نوع العقاب الذى ينتظر هؤلاء الذين يخرجون عن إطار السلوك الإسلامى .. وذلك مثل مقاتلة المسلمين ونكران جميل الزوج .

٣- أسلوب الترغيب

ببيان الجزاء الذى ينتظر المسلمون إذا حسن إسلامهم بمعنى دخولهم فيه باطنيًا وظاهريًا وانعكاسه على مظاهر السلوك الاجتماعى بين الأفراد فى الأطر التى حددتها الأحاديث الشريفة فهؤلاء يكفر الله عنهم سيئاتهم قبل الإسلام ويجازيهم عن تصرفاتهم (الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها) ، أى إلا أن يغفرها الله وهو الغفور الرحيم . وهذا يعنى أن هناك بابًا للأمل مفتوح دائمًا لمن يخطئ أو يخرج عن أطر القواعد السلوكية هذه نظرًا لطبيعة المجاهدة التى تقتضى الخطأ والصواب فى مجال التقويم السلوكى ولطبيعة الإنسان العامة المتسمة بالتراوح بين القوة والضعف . ولهذا فالأمل قائم فى التوبة وفى غفران الله سبحانه وتعالى .

والتراوح بين الترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب كان بغرض التأثير فى النفس الإنسانية المسلمة وإبعادها عن الشر ولتقوية جانب الإرادة لديها وشحذ عزيمتهما لمغالبة الشهوات .

٤- أسلوب التدرج

فى بيان حقيقة الإسلام .. فلم نجد حصرًا لجوانب السلوك الإسلامى متضمنة فى حديث واحد .. وإنما فى أحاديث عديدة وذلك بغرض تحقيق الآتى :

- الارتباط بالأحداث .. فيكون الجانب السلوكى تلبية لاحتياجات متعلقة بموقف محدد .

- ضمان الاستيعاب الكامل لجانب السلوك المحدد .. وضمان اعتياده وتشربه ... وهذا يحتاج إلى وقت وجهد ومعاناة .. ولهذا كان تدرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع المسلمين حتى لايشق عليهم خاصة وأن المظاهر السلوكية الإسلامية التى تضمنتها الأحاديث تتصل بواقع الحياة اليومية وأنماط العلاقات الاجتماعية المختلفة مع الآخرين باعتبارها الوعاء العاكس لهذه التصرفات .. ولهذا كان التدرج لملاحظة مدى الاستيعاب والتشرب وكانت من ثم المتابعة من قِبَل الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكد من ترسخ هذه القيم واقتلاع بقايا الجاهلية كما حدث بالنسبة لأبى ذر .

٥- إقرار مبدأ المسئولية عن جوانب السلوك الإنسانى

وارتباطها بعنصرى المجاهدة والجزاء . (ومن يكسب إثمًا فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليمًا حكيمًا)[١] فالإنسان المسلم مسئول عن تصرفاته وسلوكياته كما يدل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثامن عشر (إذا أحسن أحدكم إسلامه) وكما يتضح من ارتباط العمل بالثواب أو العقاب من الأحاديث الأخرى . وفى إطار الجماعة أو الجمهور تأخذ المسئولية بُعداً آخر هو المسئولية الجماعية فالجماعة تؤخذ بخطأ الفرد وخاصة عندما لاتبادر بتقويمه وذلك ماحدث فى الحديث السادس عشر عندما تلاحى رجلان فى المسجد فى رمضان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنى خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم) ، من حيث أن الرفع سبب لزيادة الاجتهاد المستلزمة لزيادة الثواب .

٦- تكشف الأحاديث عن طبيعة الجزاء هنا

ونظرًا لاتضاح حتمية وثمرة الجزاء العاجل فى الدنيا سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع ركزت الأحاديث على الجزاء الآجل . وحققت بذلك أغراضًا هى :

- بيان الارتباط بين العقيدة والسلوك أى بين حقوق الله وحقوق العباد وبيان قدسية حقوق العباد باعتبارها مقياسًا لأداء حقوق الله فالمسلم إذا أحسن معاملة إخوانه وكف آذاه عنهم أحسن بالتالى معامل ربه .

- بيان أن المشرع لكلا الجانبين واحد وهو الله عز وجل .. وهو أيضًا سبحانه وتعالى الذى يحاسب على الإسلام وعلى الالتزام بمظاهر هذا الإسلام . وبالتالى فليس هناك خيار للأخذ بأحدهما دون الآخر .. كما أنه لامفر من الالتزام .. فكلمات الله نافذة وجزاؤه للمحسن عظيم وللمسئ أيضًا عظيم ، ولايمكن لأحد أن يفلت من هذا الحساب .

---

(١) سورة النساء آية ١١١ .

وهذا الإدراك لحقيقة الجزاء يجعل المسلم بوجدانه وروحه يهتز هزًا ويتهيأ للتخلى عما اعتاده من تصرفات وعما ألفه من سلوكيات . وفى نفس الوقت يأخذ نفسه بالمجاهدة والشدة لاعتياد الأنماط السلوكية الجديدة ويتحمل ويصبر على مشقة المجاهدة أملاً فى الفوز وتضاعف الحسنات .

٧- الاستجابة لمتطلبات الحياة الاجتماعية

فالأحاديث الشريفة من خلال تحديدها لمعنى الإسلام تلبى احتياجًا اجتماعيًا للعلاقات الاجتماعية الإنسانية بين الناس ولمجتمع يسوده الألفة والمحبة والوئام .. ولهذا كان هذا المعنى العملى الواقعى للإسلام من خلال القاعدة الأساسية إذا أحسن الإنسان معاملة إخوانه وكف أذاه عنهم أحسن بالتالى معاملة ربه .

٨- أسلوب النصيحة

والنصيحة هنا كلمة جامعة يندرج فى إطارها كل ما جاء به الإسلام .. لأن النصيحة هى الدين كما قال صلى الله عليه وسلم كما أنه فى إطارها يتحدد الهدف الأسمى للاتصال بالآخرين بما يكفل حيازة الحظ للمنصوح له كما يقول الخطابى . ولهذا عد الطوسى هذا الحديث بأنه أحد أرباع الدين وقال النووى بل هو وحده محصل لغرض الدين كله .. وهو بالنسبة للقائمين بالاتصال يعد أساسًا لتقسيم كافة أنواع المضامين المقدمة بما يتفق والإسلام كما يحدد الغرض من الاتصال فى كل مافيه مصلحة الآخرين ولاتكون النصيحة كذلك إلا إذا كانت خالصة لابتغاء وجه الله .

٩- استيضاح الحقائق

وذلك بالنسبة للجمهور عندما يشكل عليهم فهم الرسالة الإعلامية أو عند عدم فهمها على حقيقتها فعليه فى هذه الحالة مراجعة القائم بالاتصال للتأكد والاستيضاح وذلك كما فى الحديث الثانى عشر عندما سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم للاستيضاح : (أيكفرن بالله) .

(٢٠) عن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :أعطى رهطًا – وسعد جالس – فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً هو أعجبهم إلى . فقلت : يارسول الله مالك عن فلان ؟ فوالله إنى لأراه مؤمنًا . فقال : أو مسلمًا . فسكت قليلاً ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى فقلت : مالك عن فلان ؟ فوالله إنى لأراه مؤمنًا فقال أو مسلمًا . ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى ، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال : ياسعد ، إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه ، خشية أن يكبه الله فى النار .

الوظيفة الإعلامية

الوظيفة الإعلامية فى هذا الحديث الشريف هى التوجيه . والتوجيه هنا وإن كان خاصًا لسعد إلا أنه عام لكل المسلمين ، ويتعلق التوجيه هنا بالجوانب الآتية :

- عدم الاكتفاء عند الحكم على الآخرين بالأمور الظاهرية فقط دون الأمور الباطنية أو ذكر الأمرين معًا على سبيل الاحتياط والقصة فى الحديث الشريف أن الرسول أعطى رهطًا من المؤلفة قلوبهم وترك « جعيلاً » وهو من المهاجرين مع أن الجميع سألوا ، فخاطب سعد النبى صلى الله عليه وسلم فى شأنه لأنه يرى أن جعيلاً أحق منهم لما اختبره منه دونهم – فقال (والله إنى لأراه مؤمنًا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أو مسلمًا) ، ويفيد هذا أيضًا ضرورة التثبت فى الأمور وترك القطع فيما لايعلم فيه القطع .

- التوجيه إلى الفرق الدقيق بين الإسلام والإيمان ، وإلى أن للإسلام حقيقتين .. حقيقة لغوية وتعنى مجرد الانقياد والاستسلام .. وتتحقق الحقيقة اللغوية بمجرد النطق بالشهادتين فيسمى مسلمًا .. أما عندما يقصد بالإسلام الحقيقة الشرعية .. يصبح الإسلام مرادفًا للإيمان .. ويوضح ذلك قول الزهرى ، إن المرء يحكم بإسلامه

ويسمى مسلمًا إذا تلفظ بالكلمة أى كلمة الشهادة وأنه لايسمى مؤمنًا إلا بالعمل ، والعمل يشمل عمل القلب والجوارح وعمل الجوارح يدل على صدقه . وعلى هذا يكون الإسلام الشرعى الكامل المراد بقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه)[1] يكون مرادفًا للإيمان .

وتكون من ثم مراجعة الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد ذات دلالة وتعكس ضرورة التفرقة بين المفهومين . وعند عدم التأكد فالأفضل القول : مؤمنًا أو مسلمًا .

جمهور الحديث

يتحدد الجمهور فى هذا الحديث بإطار نمطى الاتصال اللذين تضمنهما : نمط الاتصال الجمعى .. بين الرسول صلى الله عليه وسلم والحضور فى هذا المجلس ونمط الاتصال الشخصى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وسعد بن عبادة .. ويعكس هذا النمط الأخير روح الألفة بين القائد والجماهير والتى عكسها موقف سعد بمراجعاته للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثًا .. وبالإجابة الحكيمة التى كشفت عن طبيعة القائد الرحيمة : ياسعد « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله فى النار » وهذا لايتأتى إلا إذا كان هناك اهتمام بتحليل نفسية الجمهور وفهم دوافعه ومعالجة هذه الجوانب بدقة ولين .

كما يعكس هذا النمط الاتصالى طبيعة الروح الديمقراطية للقائد .. التى جعلت مواطنًا يراجعه فى تصرف دون أن يغضب أو يثور عليه .. ودون أن يضن عليه ببيان السبب أو الحكمة فى هذا التصرف .. ودون أن يضيع الفرصة لتوجيهه الانتباه إلى عدم الاكتفاء عند الحكم على الآخرين بالجوانب الظاهرية فقط . هذا فى الوقت الذى حرص فيه أيضًا على الجانب النفسى لجعيل .. جاء فى مسند محمد ابن هارون بإسناد صحيح إلى أبى سالم الجيشانى عن أبى الأنهار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : كيف ترى جعيلاً فلانًا ؟ قال قلت : كشكله من الناس ، يعنى المهاجرين ، قال : فكيف ترى فلانًا ؟ قال قلت : سيد من سادات الناس ، قال : فجعيل هذا خير

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

من ملء الأرض من فلان) .. فظهرت بهذا الحكمة فى حرمانه وإعطاء غيره ، وأن ذلك لمصلحة تأليف القلوب .

الأساليب الإعلامية

١- أسلوب القسم

وذلك للإخبار على سبيل التأكيد فى قوله (فوالله) وهو قسم على وجدان الظن .

٢- أسلوب الجزاء العاجل

وذلك بالعطاء المادى لقريبى العهد بالإسلام وذلك مراعاة للجوانب النفسية ، وتأليفًا لقلوبهم خشية عليهم من الارتداد من ناحية ولأن هذا العطاء من ناحية أخرى له دلالة ظاهرية فقد يجعلهم يشعرون بود الرسول صلى الله عليه وسلم لهم . فيحبون الإسلام أكثر فيقبلون عليه فينتقلون إلى درجة أسمى .. ومن ناحية ثالثة فللجزاء فائدة أخرى هى قطع الطريق أمام هؤلاء للخضوع لإغراءات مادية للارتداد عن الإسلام .. ولذلك سمى هذا بالتأليف .

٣- مراجعة القائم بالاتصال أو المسئول أو مايسمى بالنصيحة

وهذا الحديث يؤكد حق الجمهور فى عدم الانقياد الأعمى والتقبل المطلق لكل أفعال وتصرفات القائم بالاتصال .. ولهذا فهو يعد ترجمة حقيقة وعملية لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : «الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] .

---

(١) أخرجه مسلم .

«٧»

(٢١) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه – وكان قد شهد بدراً ، وهوأحد النقباء ليلة العقبة – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لاتشركوا بالله شيئًا ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا أولادكم ، ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولاتعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » فبايعناه على ذلك .

الوظيفة الإعلامية

الوظيفة الإعلامية لهذا الحديث هى وظيفة الإخبار .. والإخبار هنا بغرض التبليغ والإلزام بمقتضيات المعاهدة على الإسلام .. ولكن هل كان هذا الموقف ليلة العقبة كما روى عبادة بن الصامت ؟ .. أو أن المبايعة تمت مرة أخرى للتأكيد والتذكير بعد فتح مكة وحضرها عبادة بن الصامت رضى الله عنه فيمن حضرها من المسلمين .. توجد روايات أخرى تؤكد الرأى الثانى من ذلك ما رواه البخارى نفسه فى كتاب « الحدود » عن طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايعهم قرأ الآية كلها وعنده فى تفسير الممتحنة من هذا الوجه .. قال : « قرأ آية النساء » ولمسلم من طريق معمر عن الزهرى قال : فتلا علينا آية النساء ، قال : (أن لاتشركن بالله شيئًا) وللطبرانى من وجه آخر عن الزهرى بهذا السند بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما بايع عليه النساء يوم فتح مكة .. ولمسلم من طريق أبى الأشعث عن عبادة فى هذا الحديث ، « أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء » فهذه أدلة ظاهرة فى أن هذه البيعة إنما صدرت بعد نزول الآية ، بعد فتح مكة .

وعلى أى حال فقد كانت هناك مبايعات أخرى غير بيعة العقبة .. والوظيفة الإعلامية لهذه المبايعات واحدة هى وظيفة الإخبار ويقصد به هنا التبليغ بحدود الإسلام وحقيقته لضمان الإحاطة والالتزام من قِبَل المبايعين .. بمعنى معرفة الالتزامات والمسئوليات التى يتضمنها الدخول فى الإسلام .. وتجديد البيعة أمر يحقق للوظيفة الإخبارية فى هذا الحديث غرض التذكير والمراجعة للنفس للتأكد من مدى الالتزام بهذه الحدود . قال القرطبى : كانت مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه بحسب مايحتاج إليه من تحديد عهد أو توكيد أمر فلذلك اختلفت ألفاظهم .

الجمهور

الجمهور فى هذا الحديث وفقًا لرواية عبادة هم وفد الأنصار الذين قدموا مكة لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام وهؤلاء قد عرفوا الإسلام وعرفوا حدوده .. فكان سياق الحديث مراعيًا لمقتضى الحال ومركزًا فى الاختصار على المنهيات لأن الكف عادة أيسر من إنشاء الفعل ولأن اجتناب المفاسد مقدم على اجتلاب المصالح ولأن الواقع يقتضى أولاً التخلى عن الرذائل ، أما المأمورات فأجملها فى قوله « ولاتعصوا فى معروف » أى عدم المخالفة فى كل ما أمر به صلى الله عليه وسلم .

والأمر نفسه بالنسبة لرواية الزهرى وغيره أن البيعة كانت بعد فتح مكة فالمشابهة هنا بين الجمهورين واحدة .. فهناك ضمن هذا الجمهور عدد كبير من حديثى العهد بالإسلام ممن دخلوه بعد الفتح .. والبيعة تعريف وإلزام لهم بحدود الإسلام .. أما بالنسبة لغيرهم فللتذكير والإحاطة .

الأساليب الإعلامية

يستفاد من هذا الحديث الأساليب الإعلامية التالية :

١- الارتباط بين العمل والجزاء

وهو بالنسبة للمحسن غير محدد إذ لايثيبه على الإخلاص سوى الله عز وجل .. أما المسئ فقد يعاقب فى الدنيا .. وعقابه هنا كفارة له ، فالله أكرم من أن يثنى العقوبة على عبده فى الآخرة ، كما روى الترمذى من حديثه صلى الله عليه وسلم عن على ابن

أبى طالب كرم الله وجهه « ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » .

٢- عناية القائم بالاتصال بفتح باب الأمل دائماً أمام الجمهور

موافقة للطبيعة البشرية التى تجعل الإنسان يخطئ ويصيب ولهذا كان اللازم من الأمور المبايع عليها هو مايطاق كما هو المشترط فى أصل التكليف . فعن جرير بن عبدالله فيما رواه البخارى فى صحيحه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » وفى رواية لمسلم عن الشعبى قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فلقننى : (فيما استطعت والنصح لكل مسلم) ويشعر الأمر بقول ذلك اللفظ حال المبايعة بالعفو عن الهفوة ومايقع من خطأ وسهو .

٣- أسلوب المبايعة

وهو أحد الأساليب الإعلامية الهامة التى يستخدمها الداعية أو القائم بالاتصال لضمان التزام الجمهور بموقف أو قضية . وقد بايع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمون على الإسلام ونصرته كما فى بيعة العقبة وعلى الالتزام بحدود الإسلام كما فى بيعة النساء بعد فتح مكة .. وعلى الالتزام بموقف هو عدم الفرار من المعركة كما فى بيعة الرضوان ، وتعنى البيعة فى كل هذه المواقف الالتزام بما تم التعاهد عليه . وقيمة البيعة من الناحية الإعلامية تتمثل فى جسامة المعانى التى تتضمنها .. وقدسية الالتزام بها فالذى يبايع الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يبايع الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا)[1] . كما أن البيعة لله من ناحية أخرى تعنى ربط قلوب المؤمنين مباشرة بربهم بهذا الرباط المتصل مباشرة بالله الحى الباقى الذى لايموت المطلع على قلوب العباد وماتخفى الصدور .. ويصبح من ثم التزام العبد بالبيعة التزامًا مباشرًا أمام الله تعالى .. وأمام نفسه وأمام الناس .. ومن ثم فلا مجال قط للنكوص أو التراجع .

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

«٨»

(٢٢) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله » .

الوظيفة الإعلامية

الوظيفة الإعلامية فى هذا الحديث هى وظيفة التفسير ، إذ ورد هذا الحديث فى معرض تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (فإن تابوا) وإنما جعل الحديث تفسيراً للآية لأن المراد بالتوبة فى الآية الكريمة الرجوع عن الكفر إلى التوحيد .. ففسره قوله صلى الله عليه وسلم « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

الجمهور

الخطاب فى هذا الحديث عام لجمهور المسلمين لبيان طبيعة العلاقة بين المسلمين والكفار من حيث وجوب الأمر بمقاتلتهم حتى يقروا بالوحدانية ويأخذوا بمتطلبات الإسلام ، وخاصة الصلاة والزكاة وذلك لعظمهما وللاهتمام بأمرهما ولأنهما أساس العبادات البدنية والمالية .. كما يوضح الحديث أيضاً معنى المقاتلة إذ لاتستوجب القتل وإنما تستلزم وقوع القتال من الجانبين مع الاختلاف بين المذاهب فى ذلك .

الأساليب الإعلامية

يستفاد من الحديث الأساليب الإعلامية الآتية :

١- **إلزام القائم بالاتصال الإسلامى** بالعمل على إعلاء كلمة الله وإذعان المخالفين مع ضرورة استخدام كافة الوسائل اللازمة لذلك ابتداء من الكلمة الطيبة

والمعاملة الحسنة والإقناع بالحجة إلى درجة القتال أو مايقوم مقامه كالجزية والمعاهدة وغيرهما مما يدل على الإسلام أو التزامهم بما يؤدى بهم إلى الإسلام .

٢- **إبراز قدسية الأمر بمقاتلة المشركين** فهو أمر إلهى من الله عز وجل وليس من قِبَل الرسول صلى الله عليه وسلم .. فالله سبحانه وتعالى هو الآمر .. وحدد الغاية بإعلاء كلمة الله وإذعان المخالفين .. وبذلك لايكون هناك مجال للتردد أو عدم التنفيذ .. فهو أمر إذعان والتزام لأنه من الخالق الذى بيده مقاليد كل شئ .

٣- **تحديد حدود الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال الإسلامى** فى إطار الموافقة الظاهرية والاكتفاء فى قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم وذلك كما يستفاد من الحديث : (فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) أى فى أمر سرائرهم .. ويعنى هذا قبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر وكفر باطن ، كما يعنى من ناحية أخرى النهى عن إصدار الأحكام القطعية بالشهادة بالنار لأحد أو بالجنة لآخر .

«٩»

(٢٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزًا يومًا للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبكتبه وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث . قال ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولاتشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان ، فى خمس لايعلمهن إلا الله ، ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله عنده علم الساعة) الآية . ثم أدبر . فقال ردوه ، فلم يروا شيئًا ، فقال : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

الوظيفة الإعلامية

الوظيفة الإعلامية لهذا الحديث هى وظيفة التعليم ، تعليم المسلمين جميع الأحكام المتعلقة بأمور الدين والتى بلغتهم متفرقة وذلك فى مجلس واحد لتتحدد وتتأكد من ناحية ولتتضح العلاقات بينها من ناحية أخرى . فهذا الحديث كما قال القاضى عياض يشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالاً ومآلاً . ومن أعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال . حتى إن أعمال الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه .

ويلاحظ بالنسبة للأداء الوظيفى لعملية التعليم فى هذا الحديث ما يأتى :

١- أن المعلم هنا هو جبريل عليه السلام جاء إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل غريب شديد بياض الثياب شديد بياض الشعر لايُرى عليه أثر السفر ولايعرفه أحد مما استلفت انتباه الصحابة رضوان الله عليهم .

٢- حرصه على تعمية أمره ليقوى الظن أنه من جفاة العرب ، إذ تخطى الناس حتى انتهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ووضع يده على فخذ النبى صلى الله عليه وسلم وهو وإن كان صنيع من ينتبه ويصغى .. إلا أن فيه إشارة لما ينبغى للمسئول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل .. وهذا الصنيع أيضًا للمبالغة فى تعمية أمره كما أنه صنع صنيع الأعراب أيضًا للغرض نفسه عندما أقبل وقال يامحمد أو السلام عليك يامحمد - مع اختلاف الروايات - وبدأ سؤاله بالإيمان أولاً وليس بالإسلام لتحقيق الغرض نفسه وفى رواية أبى فروة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (والذى بعث محمدًا بالحق ما كنت بأعلم به من رجل منكم) .

وكل هذه الإجراءات للتعمية حتى تأخذ العملية التعليمية مجراها الطبيعى وحتى يتحقق الغرض منها وهو تعليم المسلمين .

الجمهور

يتوجه هذا الحديث بالخطاب لجمهور المسلمين عامة وللصحابة خاصة بغرض تحقيق أمرين :

- التعليم بطريقة التركيز والاختصار والتجميع لأمور الدين الكلية مجتمعة .

- توجيه أنظار الجمهور إلى أهمية السؤال كأداة أساسية للتعليم . فقد أفاد مسلم فى رواية عمارة بن القعقاع فى سبب ورود هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى خطبة له : (سلونى) . فهابوا أن يسألوه .. فكان مجئ جبريل لتعليمهم أهمية السؤال من ناحية ولتوضيح الغرض من السؤال وهو التعليم وأيضًا لتحديد المجالات التى يجوز السؤال فيها .

ومن ناحية أخرى فسياق هذا الحديث يحدد للقائمين بالاتصال أساليب متعددة كما يلى :

١- ضرورة الأخذ بالأسباب والتخطيط للعملية التعليمية وتوفير كافة المتطلبات الضرورية لنجاح الاتصال .

٢- مراعاة المستويات المختلفة للجمهور المتعلم والتغاضى عن جوانب السلوك غير المرضية التى قد تصدر من بعض المتعلمين أو الجمهور وعدم مواجهتها بالعنف .

٣- التفكير الوظيفى فى نتائج العملية الاتصالية فى إطار النظرة الكلية للجمهور الحالى والجمهور المستقبلى الذى ستصله الرسالة الإعلامية ووضع هذا الجمهور غير المنظور فى الاعتبار . فتتضمن الرسالة المقومات الأساسية اللازمة للتأثير فيه وهذا ماتحقق بالنسبة لتحديد أشراط الساعة أو علاماتها .. بحيث يظل كل جيل يجد جانبًا متحققًا من هذه العلامات فيتحقق لديه صدق صاحب الرسالة . ومن خلال طبيعة التعميم لديه يصدر حكمه القاطع بالصدق فى كل ماورد عنه صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أهمية فى بناء الثقة بين القائم بالاتصال والجمهور وهى هنا ليست بالنسبة لجيل الصحابة فقط وإنما لكل جيل تالٍ لهم على السواء .

الأساليب الإعلامية

بتحليل هذا الحديث إعلاميًا تتضح لنا الجوانب الآتية :

١- أسلوب التلقين

حيث يعلم هذا الحديث المسلمين الحقائق الإسلامية الخاصة بالدين ولذلك فهو يأخذ بأسلوب التقرير لبيان حقائق لامجال للنقاش فيها .

٢- أسلوب التركيز

حيث يجمع الحديث فى جمل قليلة كل وظائف العبادات الظاهرة والباطنة وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر بحيث يصبح أصلاً لكل علوم الشريعة .

٣- أسلوب التذكير

فالحديث هنا يستهدف تذكير الصحابة بكل ماسبق أن تعلموه من حقائق حول ماهية الإسلام والإيمان والإحسان ومن الناحية التربوية فالتذكير هنا بغرض التأكيد والتثبيت لكل ما تعلموه ولتجميع كل الحقائق التى تعلموها فى حديث واحد .

يؤكد هذا ماورد فى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه أن رجلاً فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الأسئلة نفسها فذكر الحديث بطوله وكان ذلك بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين التى بلغها متفرقة فى مجلس واحد .

٤- الإعلام التوضيحى

حيث يعد نمط الإعلام الذى يتضمنه هذا الحديث من نوع الإعلام التوضيحى الذى يستهدف توضيح الحقائق الجلية بلغة سهلة ومركزة وبسيطة . وتتضح أركان هذا النمط الإعلامى من اشتماله على الجوانب الآتية :

أ) العناية بضبط المصطلحات والمفاهيم .

ب) استخدام وسائل الإيضاح وأبرز نموذج لها هو النموذج التمثيلى .. وقد تمثل هنا فى قدوم جبريل عليه السلام وسؤاله للرسول صلى الله عليه وسلم ثم إجابته صلى الله عليه وسلم على الأسئلة المحددة لتوضيح أمور تعليمية كثيرة لايمكن استيعابها بدون هذا البيان التمثيلى العملى . سواء تعلقت بالقائم بالاتصال أو بالجمهور كما أوضحنا أو بالمضمون وما ينبغى له من مقومات وخصائص وفى نفس الوقت أيضًا الحرص على توفير كافة المستلزمات لنجاح هذه التجربة أو ما يسمى بالحبكة حتى لايضيع الغرض التعليمى المستهدف من الموقف كله .

جـ) توجيه الانتباه إلى أهمية تفاعل الجمهور من خلال أسلوب التساؤل والذى يعنى أساسًا استخدام الجمهور لقدراته الذهنية من ناحية وتلبية متطلبات واحتياجات فعلية لإزالة مكونات التشويش لديه ثم أخيراً توفير التثبت والتيقن للجمهور حيث التأكد من حسن تفهمه للقضايا الأساسية وتأكيد ما تثبت لديهم من فهم .

د) ثبات الأصول والمبادئ الأساسية ويتضح من خلال تكرار المواقف وتكرار الإجابات مع اختلاف الصياغة واتفاق المضمون مما يعطى للجمهور الثقة والطمأنينة . كما أن فجائية الموقف والإجابة العفوية عن الأسئلة دون ترتيب مسبق تؤكد هذا المعنى . ولعل هذا ماقصد الرسول عليه الصلاة والسلام تأكيده بقوله وفقًا لرواية أبى عامر (والذى نفس محمد بيده ما جاءنى قط إلا وأنا أعرفه إلا أن تكون هذه المرة) .

(٢٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

(٢٥) عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » .

(٢٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » .

(٢٧) عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

(٢٨) عن عبدالله بن جبر قال : سمعت أنسًا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آية الإيمان حب الأنصار ، واية النفاق بغض الأنصار » .

(٢٩) عن عبدالله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار – وهو يعظ أخاه فى الحياء – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه ، فإن الحياء من الإيمان » .

(٣٠) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : « أى العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله ؟ قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » .

(٣١) عن عبدالله قال : لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أينا لم يظلم فأنزل الله (إن الشرك لظلم عظيم) .

(٣٢) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه » .

(٣٣) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انتدب الله لمن خرج فى سبيله - لايخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى - أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » .

(٣٤) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه » .

(٣٥) عن البراء أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ماقدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مكة فداروا - كما هم - قِبَلَ البيت . وكانت اليهود قد أعجبهم ، إذ كان يصلى قِبَلَ بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قِبَلَ البيت أنكروا ذلك .

وعن البراء فى حديثه هذا أنه مات على القِبلَة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر مانقول فيهم ، فأنزل الله تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) .

(٣٦) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا ، وكان معه حتى يصلى عليه ويفرغ من دفنها ، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أُحد ، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط » .

(٣٧) عن ابن عباس رضى الله عنه قال : إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال : من القوم - أو من الوفد ؟ - قالوا : ربيعة ، قال : مرحبًا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولاندامى ، فقالوا : يارسول الله ، إنا لانستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ، ونهاهم عن أربع : عن الحنتم ، والدباء ، والنقير ، والمزفت[1] وربما قال : المقير - وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم .

---

(١) عن أبى بكرة قال :

- أما الدباء : فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع فيخرطون فيه العنب ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت .
- وأما النقير : فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم ينبذون الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت .
- وأما الحنتم فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر ، وعن أبى هريرة هى الجرار الخضر ، وروى الحربى فى الغريب عن عطاء أنها جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم .
- والزفت : ماطلى بالزفت .

ومعنى النهى عن الإنتباذ فى هذه الأوعية بخصوصها لأنه كان يسرع فيها الإسكار ، ثم ثبتت الرخصة فى الإنتباذ فى كل وعاء مع النهى عن شرب كل مسكر .

الوظيفة الإعلامية

تشترك هذه الأحاديث كلها فى أداء وظيفة واحدة هى وظيفة التوجيه ، توجيه المسلمين إلى حقائق الإيمان أو دلائله وآثاره .. وحثهم على الخلق بهذه الصفات والتدرج بهم فى إطار هذا التوجيه التربوى ، وأيضًا مراعاة مستوى معرفة الجمهور وإدراكه ومدى تخلقه بهذه الصفات . ويلاحظ أن هذا التوجيه يشتمل تارة على الصفات التى تنعكس آثارها على الفرد وتارة أخرى على الصفات التى تفيد أفراد المجتمع الآخرين .

وقد اشتمل التوجيه التربوى فى إطار تحديده لمعالم الإيمان أو آثاره على الأبعاد الآتية :

الحياء : وهو شرعًا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .. ولهذا فهو كما جاء فى حديث آخر (خير كله) وهو أحد خصال الإيمان البالغة بضع وستون شعبة كما يقول الحديث .. وتخصيص الحياء دون باقى شُعب الإيمان أمر ذو دلالة توجيهية إذ يستهدف استنفار المسلمين للتفكير فى باقى هذه الشُعب أو الخصال والاجتهاد للتعرف عليها أو بمعنى آخر فتح باب المشاركة للتفاعل الحى للجمهور للتفكير والتأمل من ناحية . ومن ناحية أخرى لتربية الجمهور على القيم والمُثل العليا .. ذلك أن البحث عن شُعب الإيمان سيشمل كل أعمال الإنسان سواء أعمال القلب أو اللسان أو البدن .. ولذلك توجد زيادة فى رواية مسلم (أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) . وتأمل هذه الزيادة يوضح حقيقة هذا التوجيه التربوى من حيث أن التلفظ بالشهادة نطقًا أعلى أعمال اللسان وتحقيقها أعلى مراتب أعمال القلب لاختصاصه بالمعتقدات والنيات .. وإماطة الأذى عن الطريق أدنى أعمال الجوارح .

وفى إطار التحقيق التربوى لوظيفة التوجيه حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تنقية مفهوم الحياء مما قد يشوبه فى أذهان البعض إذ قد يمنع الإنسان أحيانًا من استيفاء حقوقه ولهذا كان أمره صلى الله عليه وسلم للرجل الذى كان سينهى أخاه عن الحياء كان قوله له (دعه) بصيغة الأمر والقطع (فإن الحياء من الإيمان) .

الحب : باعتباره أحد آثار الإيمان ودلائله .. ويشتمل كما أوضحت الأحاديث الشريفة على الأنواع الآتية :

- حب الرسول صلى الله عليه وسلم .
- حب الآخرين .
- حب الأنصار .

وبالنسبة لحب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تضمنه التوجيه التربوى للمسلمين باعتباره علامة أساسية للإيمان الكامل .. والمقياس العملى الذى تضمنه الحديث الشريف لتحديد درجة هذا الحب .. هو الموازنة بين حب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب كل ما سواه وخاصة أعز ما لدى الإنسان .. والديه وأبنائه ونفسه والناس أجمعين . فإذا كان حبه للرسول صلى الله عليه وسلم أعظم كان إيمانه كاملاً .. ويقدر النقصان تقل درجة الإيمان .. وهذا أوضحه حديث عمر رضى الله عنه فيما رواه البخارى فى « باب النذور » قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم لأنت يارسول الله أحب إلى من كل شئ إلا من نفسى ، فقال : لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر : فإنك الآن والله أحب إلى من نفسى ، فقال : الآن ياعمر »[1] أى كمل إيمانك .. وهذا الحب للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذى أخرجنا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ولأنه السبب فى البقاء الأبدى فى النعيم السرمدى . ومن ناحية أخرى فإن التوجيه الإسلامى لهذا الحب له ثمرة أخرى مهمة فى مجال الأفكار والمعتقدات .. فالإنسان عادة يميل إلى تقليد من يهوى .. كما أن الحب يجعل للانقياد للمحبوب ولطاعته لذة . وبهذا الحب للرسول صلى الله عليه وسلم تصبح طاعة المسلمين لأوامره ونواهيه طاعة رغبة لا طاعة انقياد ورهبة فتصبح من ثم للطاعة حلاوة وللإيمان بالتالى حلاوة يستشعرها المؤمن وهى ماقصدها الحديث الثامن والثلاثون كما سنوضح فيما بعد .

---

(١) رواه البخارى .

وهذا الغرض التربوى هو الهدف الأساسى من التوجيه الإعلامى الذى تضمنه الحديثان الشريفان - السادس والعشرون والسابع والعشرون وما استهدفه أيضًا الحديث الثلاثون - عندما سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل فقال : (إيمان بالله ورسوله) .. فالإيمان الكامل يعنى الحب الكامل ويعنى الطاعة الكاملة لكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل من أوامر نواه ، وهذه الطاعة هى طاعة الحب والرغبة والتفانى فى إرضاء المحبوب .. وبهذا يتميز الأداء ويرتفع المسلم بهذا الأداء للعبادات والأوامر والنواهى إلى درجة الإيمان ويسمى مؤمنا .. ولهذا كان :

- إخلاص العقيدة لله وعدم الشرك به من الإيمان .
- وصيام رمضان إيمانًا واحتسابًا لوجه الله الكريم من الإيمان .
- والجهاد الذى لايخرج صاحبه إلا لنصرة دين الله إيمان .
- والصلاة من الإيمان .
- واتباع الجنائز من الإيمان .

فالالتزام بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ونواهيه التزام الرغبة والحب لا التزام الخضوع والانقياد بعد من العلامات التى تميز صاحبها وتجعله مؤمنًا ، وهذا التوجيه الإعلامى التربوى هو ما استهدفته الأحاديث النبوية الشريفة السابقة .

والمحب فضلاً عن طاعته لحبيبه فى أوامره ونواهيه يحب كل مايحبه حبيبه وقد أحب الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار فالذى يحبهم لهذا الحب كان إيمانه كاملاً وهذا يعنى أن التوجيه النبوى قدم مقياسًا عمليًا وواقعيًا يعرف به المسلمون درجة حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وبالتالى درجة إيمانهم . كما يعرف به المنافق أصلاً وهو الذى يظهر غير مايبطن .

ولهذا التقدير للأنصار دلائل إعلامية عديدة :

- الاختصاص العلنى بالحب لأنهم هم الذين نصروا الدعوة وآووا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته . وذلك على سبيل الإكرام والتقدير لحسن الصنيع .

- أن ماقاموا به من نصرة كان مبررًا لحسد وبغض ومعاداة جميع الفرق الموجودة من عرب وعجم .. كما أنه أيضًا موجب للحسد ، والحسد قد يجد البغض . ولهذا كان التحذير من بغضهم والترغيب فى حبهم .

- الاختصاص العلنى بالتمييز لهم كفئة تحمل اسمًا كريمًا أطلقه عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو اسم الأنصار فصار بذلك علمًا عليهم وأطلق على أولادهم وحلفائهم ومواليهم مبالغة فى التكريم واعترافًا بالجميل .

أما بالنسبة لحب الآخرين يقول الحديث الشريف (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) أى حتى يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه من الخير . والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية وتخرج المنهيات لأن اسم الخير لايتناولها . وتعنى أن يحب أن يحصل لأخيه المسلم نظير مايحصل له .. لاعينه . وهذا يعنى من ناحية أخرى ألا يحب أن يكون أفضل من غيره حثًا على التواضع . ويستفاد أيضًا أن يبغض لأخيه مايبغض لنفسه من الشر . لأن حب الشئ مستلزم لبغض نقيضه .

الجمهور

هذه الأحاديث وإن كانت تتوجه بالخطاب إلى جمهور المسلمين وهم القاعدة العريضة للمجتمع الإسلامى إلا أنها تستهدف فى الوقت نفسه تخصيص أو فرز مستوى أرقى هم جمهور المؤمنين .. وتصنيف هذا الجمهور الأخير إلى فئات عديدة تتحدد وفقًا لدرجة الإيمان ومستواه .. ووفقًا لمقاييس عديدة للتصنيف تضمنتها الأحاديث الشريفة وهى : حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، حب الآخرين . الحياء ، الإيمان بالله وعدم الشرك به ، الإخلاص فى أداء أركان الإسلام ، حب الأنصار . ففى إطار كل مقياس ينقسم المؤمنون إلى : مؤمنين أيمانًا كاملاً ، ومؤمنين إيمانًا ناقصًا .. وتتحدد درجة النقصان بقدر درجة النقص عن درجة الكمال .

والجهة المختصة بالتصنيف هنا هى الفرد نفسه .. لأن وحدات المقياس تتضمن أموراً قلبية ودوافع نفسية يصعب على غير صاحبها تمييزها .. كما أن الاعتماد على الفرد نفسه فى إجراء القياس يضعه أمام مسئولية محددة .. وينمى قدر الثقة فيه وفى الوقت نفسه ينمى لديه الاعتزاز بالنفس ، قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[1] ، كما يعنى من ناحية أخرى حث الفرد على استخدام ملكة التفكير لديه واستخدام العقل للتأمل والتدبر والقياس والموازنة .. ليس بصورة مؤقتة ولكن بصورة دائمة ومستمرة وشاملة لكل أعماله وتصرفاته . كما تعنى أيضًا المجاهدة للنفس والحرص على استكمال الإيمان .. لأن الدلالة هنا أنه يزيد وينقص وكما سيتضح لنا فيما بعد . وبذلك تبرز هذه الأحاديث نهجًا تربويًا متميزًا فى تعاملها مع الجمهور سواء بالتدرج التربوى الإيجابى .. أو بتنمية دوافع المشاركة الفعلية لديه للتقويم الاتصالى أو بمراعاة التطابق مع احتياجاته .. أو بالفهم العملى والدقيق لمكوناته ودوافعه النفسية .. والفهم الدقيق لأساليب العلاج التربوى للتسامى بهذه الدوافع وتهذيبها ليصبح إنسانًا كاملاً يشع بالخير والحب للآخرين ومن باب أولى لنفسه .

الأساليب الإعلامية

يستفاد من هذه الأحاديث الأساليب الإعلامية الآتية :

١- أسلوب النفى

كما فى حديث (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) والمراد بالنفى هنا نفى كمال الإيمان عمن افتقد هذه الخصلة .. أى لايعد مؤمنًا كاملاً .. وذلك للمبالغة بغرض التنفير والحث على استكمال هذه الخصلة إن فُقِدَت .

---

(١) سورة المنافقون آية ٨ .

٢- أسلوب الحصر

حيث تحصر وتحدد الأحاديث الصفة أو الصفات الدالة على توافر الإيمان .. ويلاحظ أن الاختلاف فى تحديد هذه الصفات يرجع إلى خصائص الجمهور الموجه إليه الحديث .. إذ تستهدف تلبية احتياجاته من حيث تغطية جانب النقص لديه ، أو لسابق علم ودراية الجمهور بصفات محددة فيقدم الهدى النبوى له صفات أخرى مهمة لاستكمال حقيقة الإيمان . وأحيانًا يأخذ الحصر شكلاً عدديًا دون تحديد للصفات وذلك لإطلاق طاقات الجمهور الفكرية وضمانًا لمشاركته الإيجابية فى التفكير والبحث والحصر كما فى حديث : (الإيمان بضع وستون شُعبة ، والحياء شُعبة من الإيمان) .

٣- أسلوب القسم

كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده) وكما فى الحديث السادس والعشرين ، والقسم هنا للتوكيد وبيان الأهمية .

٤- أسلوب المقابلة

بين الإيمان والنفاق فى حديث (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار) .. ولم يقابل الإيمان بالكفر الذى هو ضده .. لاستبعاد الكفار أساسًا من دائرة الخطاب لأنهم يأتون ما هو أشد من بغض الأنصار .. فتكون دائرة الخطاب فيمن يظهر الإيمان . ويكون الغرض من المقابلة هو الترغيب للذين يظهرون الحب للأنصار والترهيب للمنافقين الذين يضمرون البغض .

٥- أسلوب التوكيد

كما فى (دعه ، فإن الحياء من الإيمان) فالتوكيد هنا للتأكيد على أهمية هذه الصفة ولاستبعاد أى مظنة أو تخيل لمضار تنتج عنها . وأيضًا للترغيب والحث على التمسك بهذه الصفة وهى الحياء ، وللدلالة من جهة أخرى على أن الصفة فى نفسها ممايهتم به لأهميتها فى ذاتها .

٦- أسلوب الجزاء

وورد هنا فى هذه الأحاديث بالنسبة لاستيفاء مقومات الإيمان . وتتحدد هنا بالغفران لما تقدم من الذنوب فى ثلاثة أحاديث . بالنسبة لمن قام ليلة لاقدر ومن قام رمضان ومن صام رمضان . كل ذلك إيمانًا واحتسابًا لوجه الله تعالى . وأحيانًا يستخدم اللفظ الماضى للتعبير عن الجزاء فى زمن الاستقبال وذلك للدلالة على تيقن الوقوع بفضل الله تعالى كما فى حديث (من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أيضًا) . والجزاء هنا الجنة . أما الجهاد فجزاؤه آجل أيضًا وهو الجنة وهناك الجزاء العاجل .. وتحدد فى الأجر والغنيمة .

٧- أسلوب التمنى

بغرض الترغيب والحث كما فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام (ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أُقتَلُ فى سبيل الله ثم أحيا ثم أُقْتَل ثم أحيا ، ثم أُقتَلُ) . كما يفيد أسلوب التمنى هنا فى بيان قيمة الشهادة وبيان فضل الجهاد والمجاهدين .

٨- أسلوب التبشير

التبشير بالخير عاجلاً وآجلاً .. على سبيل الحث والتشجيع كما حدث بالنسبة لوفد عبدالقيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مرحبًا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولاندامى) فالندامة تكون فى العاقبة فإذا انتفت ثبت ضدها - مما يعنى البشارة بالخير عاجلاً وآجلاً .

٩- أسلوب الثناء

ويستفاد من الجملة السابقة حيث أنها تتضمن الثناء أيضًا على وفد عبدالقيس .. وكما اتضح أيضًا فى الحديث الخاص بحب الأنصار من الإيمان .. إذ يتضمن الثناء عليهم كما يتضح الثناء أيضًا من تسميتهم بالأنصار على سبيل التقدير والتكريم .

«١١»

(٣٨) عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار) .

الوظيفة الإعلامية

يستهدف هذا الحديث ما يلى :

١- تحديد المصطلحات والحقائق الأساسية للدين الإسلامى . ولهذا فهو يحدد مفهوم الإيمان . وذلك من خلال العناية بالمداخل النفسية للفرد المسلم . وخاصة عاطفة الحب الناتجة عن كمال الرغبة فى الإيمان وانشراح الصدر له وسريانه فى عقل المسلم وقلبه وكل أجزاء جسمه بحيث يخالط لحمه ودمه فيتلذذ فى هذه الحالة بالطاعات ويتحمل المشاق فى الدين . ويؤثره على كل أغراض الدنيا . ولهذا الحديث وظيفة أساسية هى وظيفة التوجيه والإرشاد إلى الطريق الصحيح لفهم حقيقة الإيمان والتصرف بمقتضاها بما يعود بالنفع على المجتمع الإسلامى . ويتم التوجيه هنا من خلال مبادرة حقيقية وفعالة من قبل مستقبل الرسالة الإعلامية . إذ يحثه الحديث على الحكم بنفسه ومن خلال مؤشرات عاطفية على مدى إيجابيته . وتتحقق الوظيفة التوجيهية لهذا الحديث من خلال المقومات الآتية :

- حث الفرد المسلم على اكتساب اتجاهات جديدة ومواقف جديدة فى ضوء المؤشرات الأساسية لضمان توافر الإيمان .

- تنمية عملية الإدراك الواعى لدى المسلم ، فإدراك المسلم لجوانب السلوك والتصرفات وقياسها عملية عقلية بحتة تتضمن عملية التفكير واستخدام العقل للسيطرة على الشهوات وتدبر الأمور .

- استمرار عملية الإدراك الواعى هذه باستمرار البحث والاجتهاد فى قياس ووزن المشاعر والأحاسيس والتصرفات بما يجعل المسلم يتيقن أن ما وعد وأوعد حقًا

ويقينًا . وحتى ليخيل إليه الموعود كالواقع – فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة ويحسب العود إلى الكفر كالإلقاء فى النار . وهذا يعنى تمام الاقتناع ورجحان جانب العقل لديه .

الجمهور المخاطب بهذا الحديث

يقسم الحديث الجمهور هنا وهم عامة المسلمين وفقًا لظاهرة الحب إلى قسمين هما:

– المسلمون – المؤمنون

وينقسم المؤمنون فى إطار مقياس الحب إلى فئات عديدة وفقًا لقدر الحب لديهم . ونلاحظ أن عملية التقسيم تتم بطريقة ذاتية بمعرفة الأفراد وفقًا لقدر الإحساس أو الشعور بحلاوة الإيمان .

واختيار الحب كأساس للتصنيف يرجع للعوامل الآتية :

– إن الحب يعنى الطاعة والالتزام ، فحب الله يعنى طاعته سبحانه وتعالى والكف عن معصيته . وحب الرسول عليه الصلاة والسلام يعنى التزام العمل بشريعته . وهذا يعنى أن المسلم يؤثر مايقتضى العقل رجحانه ويستدعى اختياره وإن كان على خلاف هواه . وينعكس هذا الحب على المجتمع فيثمر عن نمط من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد قوامها الحب لله أو الحب المنزه وهو الحب الذى لايزيد ولاينقص بالجفاء كما يقول يحيى بن معاذ رضوان الله عليه .

– ويعنى الحب من ناحية أخرى الإيمان الكامل والاقتناع الشديد بتعاليم الإسلام وقيمه إلى الدرجة التى تجعل المسلم يتحمل فى سبيلها أشد أنواع العذاب كالإلقاء فى النار دفاعًا عن عقيدته . وذلك نتيجة لاستشعاره محاسن الإسلام وقبح الكفر .

الأساليب الإقناعية

يتضمن الحديث الشريف الأساليب الإقناعية الآتية :

١- أسلوب الاستعارة التخيلية

حيث شبه المؤمن فى الإيمان بشئ حلو كالعسل ونحوه وأثبت له لازم ذلك وهو الحلاوة وأضافه إليه . وقال الشيخ محمد بن حمزة : إنما عبر بالحلاوة لأن الله عز وجل شبه الإيمان بالشجرة فى قوله تعالى ﴿ مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾[1] فالكلمة هى كلمة الإخلاص ، والشجرة أصل الإيمان ، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهى وورقها مايهتم به المؤمن من الخير ، وثمرها عمل الطاعات وحلاوة الثمر جنى الثمرة ، وغاية كماله تناهى نضج الثمرة . وبه تظهر حلاوتها . ومعنى حلاوة الإيمان كما يوقل الشيخ محيى الدين : « استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق فى الدين وإيثار ذلك على أغراض الدنيا » .

٢- أسلوب الحث والتحريض

ففى الحديث إشارة إلى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل لأن الحب يبعث على امتثال الأوامر والنواهى .

٣- أسلوب الجزاء

ويتمثل فيما يعود على المسلم نتيجة المجاهدة والتحلى بالصفات التى تضمنها الحديث . وهو جزاء عاجل .. عبر عنه بالحلاوة ، لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة . وهذا الجزاء يزيد وينقص بكمال الإيمان ونقصانه .

٤- أسلوب التفصيل

ويتمثل فى تفصيل أو تحديد المقومات أو الدلائل الأساسية للإيمان فى ثلاثة جوانب كما تضمنها الحديث . ويعد أسلوب التفصيل أحد أساليب تبسيط الفكر حيث يساعد على الاستيعاب وبالتالى يزيد من مقدرة الجمهور على الاستجابة ومن مقدرته على التذكر .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٤ .

(٣٩) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد أسودوا فيلقون فى نهر الحيا[١] - أو الحياة ، شك مالك - فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء أو ملتوية ؟) .

(٤٠) عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير) .

قال أبو عبدالله : قال إبان حدثنا قتادة ، حدثنا أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم (من إيمان) مكان (خير) .

(٤١) عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون على عليهم قمص ، منها مايبلغ الثدى ، ومنها مادون ذلك ، وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولت ذلك يارسول الله ، قال : الدين) .

الوظيفة الإعلامية

تتحدد الوظيفة الإعلامية فى هذه الأحاديث فى وظيفة الإخبار ، ويستهدف الإخبار هنا تحقيق غرضين :

الأول : وهو بيان لفئتين من المؤمنين .. تقف الفئة الأولى عند أدنى مستويات الإيمان وهى الفئة التى لم تحصل زيادة عن التوحيد سوى قدر مثقال حبة من خردل فى

(١) الحيا : بالقصر هو المطر ، وفى رواية أخرى الحياء وبه جزم الخطابى .

الحديث الأول . والفئات التى حصلت وزن حبة من شعير من خير ثم وزن حبة قمح ثم وزن ذرة أى أقل الأشياء الموزونة . وقال الخطابى : عن مثقال الحبة – هو مثل ليكون عياراً فى المعرفة .. وقال إمام الحرمين : الوزن للصحف المشتملة على الأعمال ويقدر وزنها على قدر أجور الأعمال .. وقال غيره يجوز أن تجسد الأغراض فتوزن . وما ثبت من أمور الآخرة بالشرع لادخل للعقل فيه . والمراد بحبة الخردل فى الحديث الأول .. والشعيرة والبرة ووزن الذرة من الخير هو مازاد من الأعمال عن التوحيد بقدر هذا الوزن أى مازاد عن التوحيد بمقدار أدنى وحدة وزنية معروفة آنذاك فى الجزيرة العربية وهى حبة الخردل .

ويتضح من خلال الدلالة الإخبارية فى الحديثين الأول والثانى التوجيه التربوى فى ثلاث زوايا هى :

- زاوية التمايز والتفاضل فى الأعمال الإيمانية التى تضمنتها أحاديث كثيرة سابقة وذلك لحث المسلمين وتشجيعهم للحرص على تزايد درجة حظوظهم من الإيمان بأداء هذه الأعمال والمجاهدة فى سبيلها مهما تناهت وألا يستصغر المسلم أى عمل كان .
- الزاوية الإيمانية حيث يزيد الإيمان وينقص ، والتركيز من خلال ذلك على جانب المسئولية حيث إن الفرد مسئول عن أعماله محاسب عليها .
- زاوية الإخبار عن الجزاء المترتب على الأعمال ، والتصوير لموقف الحساب والعرض على النار وتصوير من دخلوها وقد خرجوا منها بفضل مثال حبة من خردل من الإيمان وقرت فى قلوبهم وقد أسودوا . ومن خلال هذا الإخبار يتحقق الترهيب الذى يستنفر طاقة المسلم لتلافى مثل هذا الموقف مستقبلاً .

الثانى : بيان التفاوت بين المؤمنين من حيث نقصان الإيمان وكماله حيث عرض الناس على الرسول عليه الصلاة والسلام وعليهم قمص أى ثياب ، وهنا يمثل للإيمان بالثياب ، فالكامل الإيمان ثوبه طويل يكسوه ويجره . وتتحقق الدلالة التربوية فى الحديث الشريف من خلال النموذج الذى قدمه للإيمان أو الدين الكامل متمثلاً فى

عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وذلك لكيلا يتبادر إلى الذهن استحالة وجود هذا النموذج العالى وكان التحديد لرفع هذه الشبهة وليقتدى المسلمون به .

والإخبار فى الاحاديث الثلاثة يدخل فى دائرة الإخبار الغيبى . وهو إخبار عن حال من أحوال الآخرة وهو حال الحساب . وتدخل الرؤيا فى دائرة هذا الإخبار الغيبى باعتبارها من الأمور الخارجة عن الإرادة . وهذا الإخبار بشقيه من الأمور التقريرية التى ليس لمسلم مندوحة من تقبلها والإيمان بها باعتبارها واردة من الرسول عليه الصلاة والسلام .. وبذلك تتحقق الوظيفة التربوية وتكتمل من خلال هذا الإخبار الذى يضع المسلمين أمام مسئوليتهم ولحثهم على التسامى إلى درجة النموذج الأكمل .. وتلافى المستويات الدنيا من الإيمان والتى تجعل صاحبها « على شفا جرف هار » .

الجمهور

جمهور هذه الأحاديث هم الصحابة الذين عايشوا الرسول عليه الصلاة والسلام والذين كان منهم النماذج العالية فى الإيمان كسيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وهؤلاء عرفوا الإسلام وأركانه والإيمان وآثاره من الرسول عليه الصلاة والسلام .. والتزموا بالأعمال المؤدية إلى الإيمان . وباعتبارهم ركيزة المجتمع الإسلامى كان لابد من زيادة أعداد الصفوة الكاملة الإيمان .. ولذلك كانت هذه الأحاديث للترهيب من التقاعس والترغيب فى المجاهدة .. وكان تحديد نموذج بعينه أدعى لتحقيق هذا الغرض .. كما أن الحديث يعكس كمال المعرفة عن أحوال الإيمان لدى الجمهور ولذلك ركز على الآثار المترتبة على نقصان الإيمان للحث على الانتقال من مرحلة المعرفة إلى مرحلة المجاهدة والعمل . ويلاحظ أنه على الرغم من خصوصية الخطاب فى هذه الأحاديث إلا أنها بمجرد انتهاء الموقف تتحول إلى نمط الخطاب العام الموجه لعموم المسلمين بحكم عمومية الرسالة وشموليتها .

الأساليب الإعلامية

تتضح من الأحاديث السابقة الأساليب الإعلامية الآتية :

أسلوب استخدام النماذج الحية فى عرض الحقائق أو القدوة

وهو مايتضح من الحديث الثالث حيث قدم فيه سيدنا عمر بن الخطاب كنموذج لاكتمال الدين وذلك لتحقيق غرض الاقتداء وللتدليل على واقعية الدين وإمكانية التخلق بمثالياته ، وأيضًا لبيان المكانة لتعرف منزلته ويعامل بمقتضاها .

أسلوب التركيز على عنصر التقوى

حيث أبرزت الأحاديث أهمية تحقيق الإيمان فى بيان مكانة الفرد سواء بالنسبة للدنيا أو للآخرة وللجزاء الأخروى فى شكل يستحث المسلمين لتحقيق ذلك .

أسلوب التحصين المبكر

واستهدف هذا الأسلوب الإخبار الغيبى وذلك بغرض تحصين المؤمنين وإعدادهم لتلافى هذا الموقف الأخروى وهو أسلوب يختلف عن أسلوب التحصين لمواجهة المواقف والأحداث الدنيوية قبل وقوعها لتلافى الشائعات أو لتدارك الأزمات قبل وقوعها .

أسلوب تجسيم المعانى فى صور حسية

حيث استخدم مثقال الحبة من الخردل وحبة البر وحبة الشعير ووزن الذرة كمعيار لوزن المعرفة والأعمال وهى أمور معنوية . وفى الوقت نفسه أيضًا يدل استخدام هذه المعايير الحسية للدلالة على قيمة الأمور المعنوية الموزونة ، إذ كلما قلت وحدة الوزن دل ذلك على قيمة الموزون فالذهب مثلاً يوزن بالجرام ، والماس لندرته يوزن بوحدات الجرام وهى القيراط . ولهذا فوزن الخير بوحدة الذرة يفيد فى الدلالة على عِظَم الموزون وبالتالى على عِظَم الجزاء المترتب على هذه الأعمال واستخدام وحدات الوزن فى إطار الجزاء يعنى ضمنًا الربح والخسارة ، وهى دلالات ذات أهمية لمن يعملون بالتجارة والبيع والشراء ، وهو ما اشتهر به العرب ، مما يؤكد نجاح الحديث أيضًا فى توفير عنصر الخبرة المشتركة ووحدة الإطار الدلالى لأفراد الجمهور مما يساعد على الفهم الدقيق لمحتوى الرسالة الإعلامية ودلالتها .

أسلوب استثارة الدوافع الإيجابية

لتحقيق الهدف المطلوب وحشد مختلف عناصر التأثير لضمان النجاح المطلوب ، وذلك كما اتضح لنا من المقومات والأساليب السابقة .

أسلوب التشبيه

حيث شبه الدين بالقميص ووجه التشبيه الستر ، ذلك أن القميص يستر عورات الإنسان والدين يستره من النار ويحجبه عن كل مكروه .

والتشبيه أيضًا فى قوله عليه الصلاة والسلام (كما تنبت الحبة) فيه تشبيه متعدد ، وهو التشبيه من حيث الإسراع ومن حيث ضعف النبات ومن حيث الطراوة والحسن ، والمعنى من كان فى قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من الماء نضرًا حسن الوجه منبسطًا متبخترًا كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متمايلة .

ويلاحظ أن التشبيه فى الحديثين يرتبط بإطار الدلالة لدى الجمهور مما يسهل استيعاب المعنى الحسى المعروف وبالتالى تخيل المعنى المعنوى ، مما يجعل للحديث أثرًا فى الجمهور ويسهل بالتالى تحقيق الغرض الإخبارى والتوجيهى منه .

(٤٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتُمِنَ خان) .

(٤٣) عن عبدالله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا أؤتُمِنَ خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) .

الوظيفة الاعلامية

لهذين الحديثين وظيفة أساسية هى وظيفة التوجيه : توجيه أنظار المسلمين إلى حقيقة النفاق ومراتبه حتى يسهل عليهم التعرف عليه وتجنبه من ناحية والتعرف على المنافقين والحذر منهم من ناحية أخرى ، ولذلك فهذان الحديثان يحددان مفهوم النفاق الخالص وربطه بصفات أساسية ثلاثة متصلة بأعمال الإنسان وتتضمن القول والفعل والنية ، فالكذب للقول ، والخيانة للدلالة على فساد العقل ، والخلف أى عدم الوفاء بالوعد دليل على فساد النية وماعدا هذه الثلاث يندرج تحتها .

كما أن التوجيه الإعلامى متحقق أيضًا للمنافقين ، إذا يضعهم فى موقف المواجهة مع النفس بكشف النقاب عن حقيقة تصرفاتهم ، وأيضًا فى مواجهة مع المسلمين الذين يستطيعون بهذا المقياس كشف النقاب عنهم ، وعدم الانخداع بهم .

الجمهور

والجمهور الأساسى هنا فى هذا الحديث هم المنافقون بصورة عامة وأشخاص محددون فى المجتمع الإسلامى آنذاك لم يكشف عنهم الحديث ، ولكن من خلال

المواصفات الدقيقة للنفاق حدد هذه الفئة من الجمهور وفقًا لمرتبة النفاق ، نفاق القول ونفاق النية أو الاعتقاد . والنفاق الخالص وهو الذى اشتمل على هذه الثلاثة ، وفئة جمهور المنافقين وفقًا لذلك أربع مراتب أو مستويات ، وهذا التقسيم ليس ثابتًا ، إذا يمكن الانتقال من فئة إلى فئة والانتقال من جمهور المنافقين إلى فئة أخرى كالمسلمين وذلك بترك التخلق بالصفة المحددة وذلك كما يقول الحديث الشريف (حتى يدعها) .

الأساليب الإعلامية

بالتحليل الإعلامى لهذين الحديثين تتضح الأساليب الإعلامية الآتية :

١- أسلوب الحصر

وهو كما يتضح من الحديثين وهدف الحصر هنا التحديد القاطع لدلائل النفاق أو مراتبه ، وذلك لضمان سرعة الاستيعاب ولتوفير طاقة الجمهور وتوجيهها مباشرة نحو فحص تصرفات الآخرين للكشف عن المنافقين والتعرف عليهم ، ويفيد الحصر هنا فى الدلالة على تحقق الوقوع والتنبيه على أن هذه الخصال عادة للمنافق أى أنها ليست عملاً عفويًا يأتيه - بل إنه دائم التكرار منه ولهذا فالتخلص منه يحتاج إلى مجاهدة . ولذلك قال : (حتى يدعها) .

ويلاحظ نقيض هذا الأسلوب بالنسبة لدلائل الإيمان ، إذ تركت كلها دون تحديد باستثناء صفة واحدة كما فى حديث : (الإيمان بضع وستون شُعبة والحياء شُعبة من الإيمان) ، فهنا نجد فرصة للتأمل والتفكر ذات دلالة تربوية تفيد فى تنمية روح المشاركة والتفاعل الإيجابى لدى المسلمين .

٢- أسلوب الإيجابية

وهو من الأساليب التى تساعد القائم بالاتصال على استنفار ملكات الجمهور الفكرية ، وهذا يقتضى من القائم بالاتصال الدراية بمتطلبات الموقف الاتصالى والفهم

لدقيق للرسالة الرعلامية والغرض منها والفهم أيضًا للجمهور وملكاته والقدرة على السيطرة على هذه الملكات والطاقات ومعرفة الكيفية المثلى لإطلاقها بما يعود بالنفع أساسًا على الجمهور وبما لايبدد هذه الطاقات سدى .

٣- أسلوب فتح باب الأمل

فليس هناك دائمًا حقيقة ثابتة أو موقف ثابت .. لأن الطبيعة البشرية ذاتها متغيرة ومتقلبة ، ولمواجهة هذا التغير وحرصًا على الاستقامة فإن الأمل قائم فى التحول إلى الأحسن وذلك بترك الصفات الرديئة والتخلق بالصفات الحسنة أو ما يسمى بإمكانية التحرك النفسى دون أى عوائق سوى مجرد الرغبة الذاتية فى هذا التحرك . وهى ما عبر عنها فى الحديث الشريف : (ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) .

٤- أسلوب القياس الذاتى

ويعنى أن يستعرض الإنسان كل تصرفاته قولاً وفعلاً ونية على هذا المقياس الذى تضمنه الحديثان الأول والثانى حتى يطمئن إلى انتقاء هذه الصفات . وقد يستأنس أحيانًا برأى الآخرين وخاصة فى نفاق العمل الذى قد يخفى على صاحبه ، من ذلك ما أورده القرطبى ، سأل عمر حذيفة : هل تعلم فى شيئًا من النفاق ؟ ، وذلك ليطمئن إلى خلو عمله منه .

٥- أسلوب التحذير والإنذار

فالحديثان بصياغتهما إنذار وتحذير للمسلمين لعدم إتيان هذه الخصال - خشية الاعتياد عليها فتصبح طبعًا غالبًا ، والتحذير هنا للتنفير من النفاق وهو مخالفة الباطن للظاهر .

«١٤»

(٤٤) عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يطيقون . قالوا : إنا لسنا كهيئتك يارسول الله ، إن الله قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ، فيغضب حتى يعرف الغضب فى وجهه ثم يقول : إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا .

(٤٥) عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : فلانة - تذكر من صلاتها - قال : (مه - عليكم بما تطيقون ، فوالله لايمل الله حتى تملوا) . وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه .

الوظيفة الإعلامية

تتحدد الوظيفة الأساسية لهذين الحديثين فى التوجيه ، التوجيه إلى عدم تحميل النفس بأكثر من طاقتها ضماناً لمطابقة الطاقات البشرية من ناحية وحرصاً على عدم وصول الإنسان إلى مرحلة الملل أو التشبع أو اليأس التى تجعله ينصرف عن الاستجابة أو يتوقف عما اعتاده من استجابات .

الجمهور

يتوجه هذان الحديثان بالخطاب إلى مستويين من الجمهور :

١- الجمهور العام

٢- جمهور القائمين على شئون الدعوة أو الاتصال أو التعليم ، ويستهدف الخطاب هنا تحقيق الآتى :

- بالنسبة لفئات الجمهور العام ضرورة الاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث مراعاة قدراتهم وطاقتهم وعدم الاثقال على أنفسهم وأن تكون الأعمال التى يكلفونها فى حدود ما يطيقون الدوام عليه ، حتى وإن خالفوا رغبتهم فى ذلك ، فقد كان الناس يطلبون من الرسول عليه الصلاة والسلام التكليف بما يشق لاعتقادهم باحتياجهم إلى المبالغة فى العمل لرفع الدرجات دونه ويقولون إنا لسنا كهيئتك فيغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لأن (أحب العمل إلى الله أدومه) كما يقول الحديث الشريف ، والمبالغة فى العمل ، قد تشق عليهم فيعجزون عن الاستمرار ، ولهذا كان وجه الغضب ، ولأن الله لايتناهى حقه علينا فى الطاعة حتى يتناهى جهدنا فنمل فينقطع فضله علينا وهذا ما أوضحه الحديث الثانى (عليكم بما تطيقون ، ووالله لايمل الله حتى تملوا) .

وبالنسبة للجمهور الثانى فالحديث يضع مبدأ مراعاة الطاقات والقدرات الفعلية للجمهور ، وذلك بغرض عدم الوصول بمستقبل الرسالة الإعلامية إلى مستوى التوتر والقلق الذى يسلمه إلى العجز . وذلك انطلاقًا من قوله تعالى (لايكلف الله نفسًا إلا وسعها)[1] وهذا مايسميه البلاغيون بمراعاة مقتضى الحال .

الأساليب الإعلامية

يكشف التحليل الإعلامى للحديثين السابقين عن الأساليب الإعلامية الآتية :

١- أسلوب القسم

فى (فوالله لايمل الله حتى تملوا) وهو حلف من غير استحلاف ولاكراهة فيه ويستهدف التأكيد على أهمية عدم تحميل النفس بأكثر من طاقتها . وفى نفس الوقت التنفير من فعل هذا الشئ .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

٢- التكرار

حيث يلفت الحديث النظر إلى أهمية الممارسة أو تكرار الحدوث باعتبارها تؤدى إلى أن يصبح هذا السلوك عادة ، أى يتحقق التعلم ، فنحن لانستطيع القول بأن الفرد تعلم إذا قام بالاستجابة مرة أو مرتين .. ولهذا يحث الحديث على العمل الذى يدوم وإن قل .. ولأنه بدوام الاستجابة يصل الإنسان إلى درجة الكمال . وفى مجال العبادات فإنه بدوام العمل القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الله تعالى .. وتتضح درجة الكراهية للتحميل فوق الطاقة من قوله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة : مه .. وتعنى الزجر - للنهى عن تكلف عمل لايطاق به - ويتضح أيضًا من حال الغضب الشديد الذى يظهر عليه عندما يطلبون التكلف بأعمال فوق الطاقة ويقولون (إنا لسنا كهيئتك) .

حرص القائم بالاتصال على الجمهور

فاتجاهات القائم بالاتصال نحو جمهوره يجب أن تكون إيجابية قائمة على الحب والإخلاص والحرص على ما فيه مصلحتهم ، كما اتضح من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أمته ورأفته بهم ، إذ أرشدهم إلى مايصلحهم بتكليفه لهم ما يطيقون وبأمره لهم ألا يحملوا أنفسهم فوق الطاقة وذلك خشية الملال اللاحق الذى يحول دون الاستمرار فى الاستجابة . ويتفق هذا التوجيه النبوى الشريف مع هدى القرآن الكريم فقد ذم الله تعالى من التزم فعل البر ثم قطعه بقوله : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها)[١].

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧ .

(٤٦) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة) .

الوظيفة الإعلامية

تتحدد الوظيفة الإعلامية لهذا الحديث فى التوجيه . توجيه المسلمين إلى التوسط فى الأعمال والأخذ بما يطيقون ، والحرص على الاقتراب من الكمال فى إتقان أدائهم لهذه الأعمال ، حيث قد يعجزون عن الكمال ، وما يترتب على هذا الإحساس بالعجز من يأس ، كما يحدد لهم أنسب الأوقات لممارسة هذه الأعمال وهى : أول النهار وبعد الزوال وجزء من الليل أوله أو آخره ، أى الأوقات المنشطة حتى يمكنهم المداومة على العمل وتجديد نشاط النفس ، بخلاف العمل المتواصل ، يعجز الإنسان بعد فترة عن مداومته والاستمرار فيه ، وهذا التوجيه بالنسبة لممارسة الشعائر الدينية بصفة خاصة وللأمور الحياتية بصفة عامة ، إذ يترك هذا التوجيه الوقت الكافى لممارستها وهو من طلوع الشمس وحتى الزوال .

جمهور الحديث

والجمهور المخاطب بهذا الحديث هم جمهور المسلمين عامة كما يفيد أيضًا القائمين بالاتصال والإعلاميين ، خاصة وأن الحديث يعكس فهمًا دقيقًا لتكوين الإنسان النفسى ولقدراته الذهنية ولأنسب الأوقات لإطلاق طاقات القدرات الكامنة فى الإنسان ، ويشير إلى أهمية تكرار الممارسة على فترات متقاربة حتى يتم الاعتياد على أدائها « وقاربوا » وهذا التكرار مفيداً أيضًا للاقتراب من الإجادة أو الجودة والاقتراب من الكمال ونظراً لأهمية عنصر الجزاء وقدره فى تحديد الاستجابة أو العمل ، فالعمل الذى يترتب عليه الجزاء والذى يكون جزاؤه أعظم يكون احتمال قيام الإنسان به

وتكراره أكثر ، وبهذا قال صلى الله عليه وسلم « وأبشروا » أى وأبشروا بالثواب على العمل وإن قل .

وبهذا يتضح لنا الفهم الدقيق لجوانب الجمهور النفسية المؤثرة على عملية التعليم ، وفى الوقت نفسه الإدراك الواعى لطبيعة القدرات الذهنية والملكات النفسية للجمهور ولأنسب الأوقات لتشغيلها لضمان الاستفادة التامة منها كما أشرنا سابقًا .

الأساليب الإعلامية

يكشف هذا الحديث عن أساليب إعلامية عديدة وهى :

١- طبيعة التيسير فى الرسالة الإعلامية الإسلامية

إذ تنطلق من حيث قدرات الفرد وإمكاناته دون مغالاة ، والتأكيد على هذه الطبيعة كما يتضح من قوله عليه الصلاة والسلام « إن الدين يسر » ذلك للرد على من ينكر هذه السمة الخاصة للدين من ناحية ، ولإفادة أن هذه الحقيقة من الحقائق ذات الأهمية التى ينبغى أن توضع فى الاعتبار سواء بالنسبة للجمهور أو للقائمين بالاتصال ، فالحقيقة هى التيسير والأخذ بالرفق ، ومن الرفق أيضًا اختيار أنسب الأوقات للتقبل والاستجابة .

٢- أسلوب الاستعارة

للتعبير عن أنسب الأوقات للعمل .. وذلك باستعارة الغدوة والروحة وشئ من الدلجة لأوقات النشاط .. ويعكس هذا الاختيار المطابقة لمقتضى الحال .. فالمخاطبون قوم عرفوا السفر للتجارة .. فحدد لهم أنسب الأوقات للسفر .. ولأنهم يعرفون أن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا انقطع وإذا تحرى السير فى هذه الأوقات المنشطة أمكنه المداومة من غير مشقة وهذا أبلغ فى الإقناع وأدعى إلى الاقتناع وخاصة عندما يتأملون الوجه الثانى للاستعارة ، فالإنسان فى هذه الدنيا مسافر فى

الحقيقة والدنيا دار نقلة للآخرة ، وهو محتاج أكثر إلى العمل فى الأوقات المنشطة لضمان الاعتياد واستمرارية العمل .

٣- أسلوب التبشير

بالجزاء المترتب على العمل وإن قل ، وأبهم المبشر به للتدليل على التعظيم والتفخيم فيه .

(٤٧) عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحلال بين ، والحرام بين وبينهما مشبهات لايعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وأن حمى الله فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب) .

الوظيفة الإعلامية

فى إطار التوجيه النبوى الشريف تتحدد الوظيفة الإعلامية لهذا الحديث ، إذ يركز على فضيلة الورع وأهمية توفى الشبهات خاصة وأن كلاً من الحرام والحلال واضحان وظاهران ولايخفيان على أحد بخلاف المشبهات .

ويتضمن التوجيه إشارة إلى قيمة التفكير قبل العمل وذلك لضمان الطمأنينة ، ويؤكد فى هذا الإطار من ناحية أهمية اللجوء إلى العلماء للاستفسار والتعليم ودور العلماء من ناحية أخرى فى إزالة اللبس بالنسبة للأمور الملتبسة .

الجمهور

والجمهور الموجه إليه الخطاب فى هذا الحديث هم جمهور المسلمين بصفة عامة . كما يتوجه الخطاب إلى جمهور نوعى يشمل كافة القائمين على شئون الاتصال والتعليم والدعوة ، ويكشف الحديث بالنسبة للجمهور عن جانب مهم هو :

المسئولية

فاتقاء الشبهات مسئولية كل فرد من أفراد الجمهور العام ، وتحرى الشبهات عملية عقلية تتضمن التفكير والتأمل والموازنة . وتتضمن أيضًا التنقيب والبحث

والدراسة واستيفاء المعلومات اللازمة لإصدار الحكم فيها .. وهذه مسئوليته أولاً .. كما أن عليه مراجعة العلماء وأهل الاختصاص أيضًا فى محاولاته لاتقاء الشبهات .. ومسئولية العلماء فى كشف المشبهات للجمهور واجبة بحكم اختصاصهم وما اختصوا به من علم . أما المسئولية تجاه جوانب الحرام والحلال .. وهى الأمور البينة الواضحة فمسئولية التزام ، وليس هناك مجال للمناقشة حول الالتزام بها من عدمه .

وفى إطار التعامل مع الجمهور يلاحظ أن هذا الحديث يوجه أنظار العلماء والدعاة والقائمين بالاتصال إلى أهمية عملية الإدراك لدى الإنسان وأهمية العناية بآلة الإدراك هذه باعتبارها الأساس فى صلاح الجسد أو فساده وبالتالى صلاح أعمال الإنسان أو فسادها .. وقد حدد الحديث هذه الجهة بالقلب . ويستدل به على أن العقل فى القلب ومنه قوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾[1] قال المفسرون أى العقل .

الأساليب الإعلامية

يتضمن الحديث الأساليب الإعلامية الآتية :

١- الحث والتحريض

حيث يشجع الحديث المسلمين على توخى الورع باجتناب الأمور المتشابهات وبين على سبيل التشجيع مايترتب على ذلك بقول الحديث الشريف : (فقد استبرأ لدينه وعرضه) أى برأ دينه من النقص وعرضه من الطعن فيه . وذلك بخلاف من لايتقى الشبهات فإنه يعرض نفسه للطعن فيها .

ضرورة الاستدلال والبرهان

وخاصة فى الأمور المشتبهات إذ لابد من البحث والتنقيب عن الأدلة الموضحة ثم الأخذ بعد ذلك بالأحوط أى بالجانب الموافق للمروءة لتوقى الشبهات .

---

(١) سورة ق آية ٢٧ .

٣- أسلوب التركيز على الحقائق الكلية

هذا الحديث من الأحاديث الجامعة ، وقد أجمع العلماء على عظم موقفه باعتباره أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام كما يقول العينى وقالت جماعة هو ثلث الإسلام وأن الإسلام يدور عليه وعلى حديث (الأعمال بالنيات) وحديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه) وأضاف أبو داود حديثًا رابعًا هو (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) .

فهذا الحديث كما يقول ابن العربى يمكن أن تنتزع منه جميع الأحكام . وقال القرطبى شرحًا لذلك : « لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب » ، أما الإمام النووى فقال : « معناه أن الأشياء ثلاثة أقسام حلال واضح لايخفى حله كأكل الخبز والفواكه والكلام والمشى وغير ذلك ، وحرام بين كالخمر والدم والزنا والكذب وأشباه ذلك وأمور أخرى متشابهات ليست واضحة الحل والحرمة » .

٤- أسلوب التناسب

ويتضح هذا التناسب بين حمى الملوك وحمى الله ، وحمى الملوك هى المناطق التى كان يحميها ملوك العرب لرعى مواشيهم ويتوعدون من يرعى فيها بعيراً بغير إذن منهم بالعقوبة الشديدة ، فمثل لهم النبى صلى الله عليه وسلم بما هو مشهور عندهم ، فشبه المكلف بالراعى والنفس بالأنعام والشبهات بما حول الحمى والمحارم بالحمى وتناول الشبهات بالرتع حول الحمى . ووجه الشبه حصول العقاب لعدم الاحتراز عن ذلك . فكما أن الراعى إذا رعى حول الحمى استحق العقا فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع فى الحرام فاستحق العقاب .